أخرج البخاري في «صحيحه»: أن النبي ﷺ قال: «أَنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ؛ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ».

قال ﷻ مُثنيًا على ذاته: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء:١٤٧]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[التغابن:١٧].

فربنا ﷻ يشكر اليسير من الطاعة؛ فيجازي عليه بالكثير، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفةً من الثواب؛ بغير عد ولا حساب، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠].

وربنا ﷻ يشكر العباد على شكرهم له؛ فيزيدهم من الخير والفضل، وهو الذي أعطاهم إياه، وجعله لهم، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل: ٥٣].

وربنا ﷻ يشكر عبده بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكر بفعله منهم، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء:٣].

وربنا ﷻ يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل ويثيب عليه؛ ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[فاطر:٣٤].

ربنا ﷻ يعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر.

في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

وجاء في «سنن أبي داود»: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ! مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»[حديث حسن].

❐ أعطى فأثنى!

ومن كمال شكره ﷻ: أنه يعطي العبد، ويوفقه لما يشكره عليه؛ فهو الذي أعطى فأثنى، فمنه السبب، ومنه المسبب، قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[الإنسان: ٢٢].

فسبحان من يمن علينا بالسعي، ثم يوفقنا إليه، ثم يشكرنا عليه!

أليس هذا غاية الفضل والإحسان؟ فله الحمد والشكر.

وَهُوَ الشَّكُوْرُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُم لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلاَ حُسْبَانِ

❐ أعظم الجزاء..

لما عقر نبي الله ﷺ سليمان الخيل غضبًا له -إذ أشغلته عن ذكره، فأراد ألا تشغله مرةً أخرى-؛ أعاضه عنها: الريح.

لما احتمل يوسف الصديق ﷺ ضيق السجن؛ شكر له ذلك بأن مكن له؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[يوسف:٥٦].

ولما بذل رسله ﷺ أعراضهم فيه لأعدائهم؛ فنالوا منهم وسبوهم؛ أعاضهم عن ذلك بأن صلى الله عليهم وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سماواته وبين خلقه فأخلصهم ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾[ص:٤٦].

ولما ترك الصحابة ﷺ ديارهم، وخرجوا منها في مرضاته؛ أعاضهم عنها رضوانه: وملكهم الدنيا وفتحها عليهم.

إنه الشكور ﷻ؛ يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير، ولا يضيع عليه هذا القدر، جاء في الحديث المتفق عليه: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

فكيف بمن يزيل العوائق المعنوية عن طريق الناس؟ كيف بمن ييسر أمور الناس ويفرج همهم، ويكشف غمهم، ويعينهم على قضاء حوائجهم، ويدخل السرور على أنفسهم؟! وهذا -كله- منه ﷻ أن وفقك في الأولى والآخرة.

لما كان ﷻ هو الشكور على الحقيقة؛ كان أحب خلقه إليه: من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه: من عطلها واتصف بضدها.

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "فالنعم ابتلاءٌ من الله وامتحان ؛ يظهر بها شكرُ الشكور، وكفرُ الكفور".

❐ **والشكر شكران :**

الأول: أن يكون باللسان، وهو: الثناء على المنعم.

والآخر: الشكر بجميع الجوارح، واستخدامها في طاعة الله ﷻ.

وهو دأب الأنبياء والصالحين جميعًا.

أخرج البخاري: أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فتقول عائشة ﷺ: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟!».

وامتدح الله ﷻ آل داود ﷺ على شكرهم: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبإ:١٣].

ولما كان القليل من عباد الله ﷻ من حقق عبادة الشكر؛ فقد أوجب على العبد أن يطلب الإعانة منه على الشكر والقبول.

فهذا النبي ﷺ يوصي معاذًا أن يقول دبر كل صلاة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ!»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا» [حديث صحيح. رواه أبو داود].

ثم تأمل هذا الضمان لك من رب العالمين -إن كنت شاكرًا-؛ فالله ﷻ قد قال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[النساء:١٤٧].

والشكر لك، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[لقمان:١٢]، ومن أراد الزيادة فعليه الشكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:٧].. فما أرحم الله!

واحذر أن تُقارن نفسك بالآخرين في النِعم والمواهب؛ فإن هذا يوصلك إلى الحزن والكدر، واعمل بقوله ﷻ: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[الأعراف:١٤٤].

❐ مفتاح القلوب:

ومن شكر الله ﷻ: شكر من أجرى الله النعمة على يديه، وأولهم:

الوالدان: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[لقمان:١٤].

جاء في «مسند الإمام أحمد»: «مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللهَ»

[حديث صحيح].

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ

لِكَوْنِ أَيَادِي جُوْدِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ

وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرًا لِشُكْرِهَا

كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ

فَفِي كُلِّ شُكْرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ

بِغَيْرِ تَنَاءٍ دُوْنَهَا الشُّكْرُ يَصْغُرُ

فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا

تَحَمَّلَ ضِمْنَ الشُّكْرِ مَا هُوَ أَكْبَرُ

اللهم! اجعلنا من الشاكرين؛ يا رب العالمين!